

شخص المعلم الأهل⁽¹⁾
(L'enseignant indigène)
ومدى تفاعله مع إيديولوجيا الاحتلال الفرنسي للجزائر

بقلم د. مسعود طيبي
رئيس قسم الفلسفة المدرسة العليا للأساتذة *بوزريعة*

ربما يتساءل البعض عن أسباب ربط هذا الموضوع المتعلق بتعليم وتكوين الجزائريين عهد الاحتلال الفرنسي بالأيديولوجيا⁽²⁾ التي لها نوايا أخرى في أذهان المروجين لها غير نوايا العلم وأهدافه السامية.

والجواب، هو أننا لا نستطيع الفصل بينهما في هذه الدراسة، لأن واقع التكوين والتعليم الذي نحن بصدد عرضه هنا، جاء هكذا مرتبطا بإيديولوجيا الاحتلال الفرنسي للجزائر، والعلم الصحيح هو العلم الذي يحلل الواقع ويفسره تفسيراً موضوعياً، لا العلم المصطنع الذي يحاول أصحابه تجاهل الواقع والهروب إلى الخيال والارتقاء في أحضان ومتاهات اليوتوبيا (utopie)⁽³⁾ التي لا تحددها أطر المكان والزمان بقدر ما تفلت منهما.

وعليه، فإن التعليم الفرنسي الموجه للأهالي تعليم قائم على قاعدة أيديولوجية لا يمكن فصله عنها لشدة اتصاله بها، هي إيديولوجيا الاحتلال ذاتها.

يدخل هذا في إطار إرهابات النهضة وقيام الثورة الصناعية التي شملت معظم بلدان أوروبا، وحولتها من أنظمة سياسية واقتصادية إقطاعية، أساسها الزراعة وهيمنة سلطة الكنيسة الروحية والزمنية، إلى أنظمة برجوازية رأسمالية أساسها الصناعة والتنافس على وفرة الإنتاج وتنمية مجال رأس المال، والتسابق نحو التسلح وامتلاك القوة العسكرية، وهو ما أدى إلى ضرورة البحث عن مصادر المواد الأولية وجلبها إلى مصانعها، وإيجاد الأسواق لمنتجاتها الصناعية، ومن ثمة ضرورة التطلع إلى إيجاد المستعمرات والاستيلاء عليها بالقوة، وتوسيع إمبراطورياتها والتنافس الحاد في ذلك بين الدول

الأوروبية المصنعة، إلى جانب السعي وراء تحقيق أهداف أخرى تدخل في نطاق الصراع الثقافي الحضاري الذي طالما حركته دوافع عرقية ومخلفات الحروب الصليبية المعروفة في تاريخ أوروبا. إن الأهداف الإيديولوجية الفرنسية، منذ احتلال الجزائر عام 1830 إلى يوم انزاعها وخروجها منها عام 1962 واحدة لم تتغير، أجمعت كل الأطراف الفرنسية على تأييدها، سواء أكانوا إمبراطوريين أو جمهوريين، مدنيين أو عسكريين، ينتمون إلى اليسار أو اليمين، وهي إيديولوجيا يطمح ويطمح أنصارها في ضم الجزائر وإلحاقها بفرنسا الوطن الأم، كما يزعمون، واعتبارها "امتدادا طبيعيا لجنوب فرنسا، [وهي مستعمرة] من نوع خاص، تختلف عن المستعمرات الفرنسية فيما وراء البحار" (4) (5).

ولكنه، لم يكن يخفى يومئذ عن فرنسا، بأن ضم الجزائر إليها كههدف إيديولوجي، ليس بالأمر السهل، إذ أدركوا مدى صعوبة المسألة، إن هم ركنوا إلى القوة المادية دون سواها، فلا تتحقق نواياهم مهما كانت هذه القوة، فقد استخلصوا من تاريخ احتلالهم للجزائر، وتحارب الحرب عليها، ومقاومتها لهم، منذ أن وضعوا أقدامهم على أرضها، أن قوتهم المادية قاصرة وغير قادرة على مواجهة القوة المعنوية للأمة الجزائرية، فهذه القوة ليست سلاحا متطورا ومتوفرا بالقدر الكافي، إنما هي مبادئ معنوية، تفوق قوتها قوة سلاحهم المادي، تتجسد هذه المبادئ الراسخة؛ في الاعتقاد الإسلامي للجزائريين، وفي لسانهم العربي الأمازيغي الفصيح، وفي حبهم لوطنهم، وتقاسك وحدتهم في السراء والضراء.

لقد أبدى المنظرون الفرنسيون والمنفذون السياسيون والعسكريون لتكريس إيديولوجيا احتلال الجزائر وضمها نهائيا إلى فرنسا وابتلاعها إلى الأبد، مدى حيرتهم وتدميرهم أمام صعوبة العوائق التي تعترض سبلهم، وهي تلك المبادئ المعنوية المتأصلة في كيان الشخصية الوطنية الجزائرية، والهوية الراسخة في أعماق الفرد الجزائري والجماعة على حد سواء، هي مبادئ الأمة نفسها ومقوماتها الأساسية، من دين، ولغة، وقيم معنوية، وتاريخ، ووطن، وعادات وتقاليد عريقة. فكيف السبيل إلى ذلك؟ وكيف يمكن التخلص من هذه المبادئ التي يحملها أفراد الأمة، كعائق ومانع في وجه الاحتلال؟

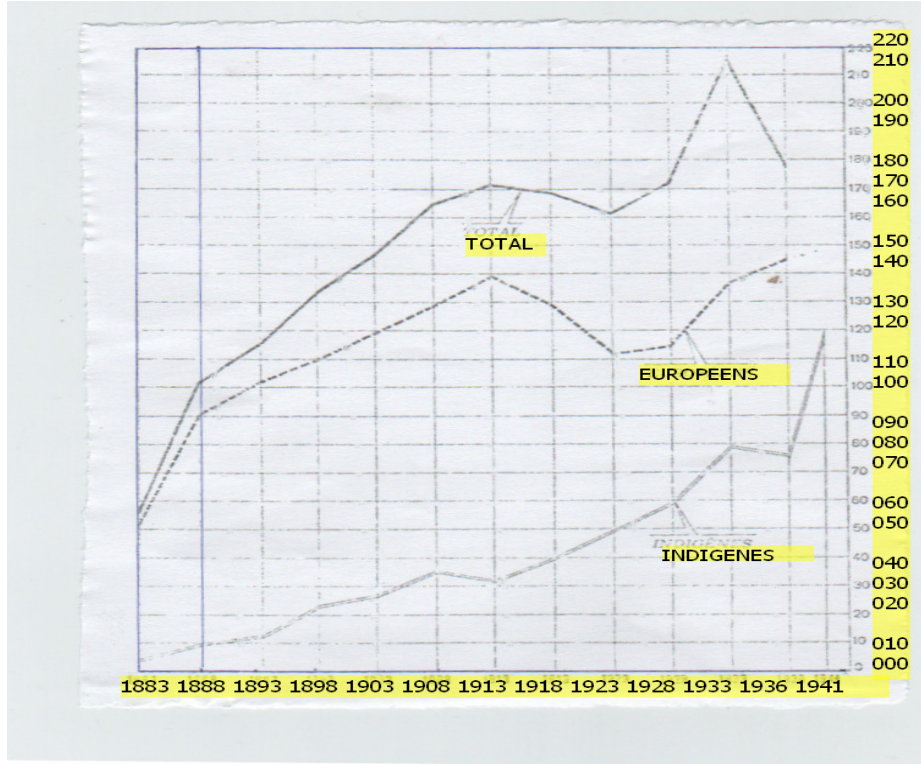
والجواب واضح، هو أنه لا يمكن ذلك إلا بالقضاء على هذه الأمة من خلال استئصال وتفكيك مقوماتها ومسح الشخصية الجزائرية ومحو هويتها وإفراغها من محتواها الأصيل.

ولتحقيق أهدافه ركز الاحتلال على هذه المحاور الأساسية، وهي؛ فرنسة الجزائر، وتنصير شعبها، وإدماجه في فرنسا، وفي المقابل القضاء على اللغة العربية، والدين الإسلامي، ومحو فكرة

الوطن المستقل من أذهان الجزائريين، والعمل على إخماد الشعور بالانتماء للأمة العربية الإسلامية، ثقافيا وحضاريا.

ولكن ما هي الوسيلة الأنجح لتحقيق الغاية المنشودة للمحتل؟ لقد جرب الاحتلال الفرنسي وسائل عديدة لتحقيق أغراضه، على المستويين؛ الأدبي والعسكري، بوضع القوانين السياسية والإدارية الجائرة، وبافتكاك حقوق الجزائريين بالقوة وارتكاب الجرائم البشعة في حقهم، إن هم اعترضوا سبيله. ولكن جميع هذه الوسائل لم تفلح وباءت بالفشل الذريع، فلجأ إلى استعمال أداة أخرى من أدواته الأدبية القاتلة، هي هذه المرة أداة المدرسة، وتعليم الجزائريين، وتكوين المعلمين الأهالي، وبناء المدارس وإصدار المراسيم، وسن القوانين لذلك.

ما هي أهداف تكوين وتعليم الجزائريين؟ لم يكن المحتلون الفرنسيون في بادئ الأمر راغبين في تعليم الجزائريين، إذ أنهم لم يسمحوا لأي كان أن يلتحق بالمدرسة الفرنسية، "خوفا من انتشار التعليم وتعميم الثقافة وما ينجم عن ذلك من مخاطر على السياسة الاستعمارية في حد ذاتها... لأن في نظر الاحتلال، الأعداء المستنيرين أخطر عليه من الأعداء الأميين، فحرمت بذلك الجزائريين من التعليم، ولم يطبق التعليم الإجباري الذي جاءت به مراسيمها"⁽⁶⁾ المتعددة،⁽⁷⁾ وهو ما يشته نص ألكسي دو طوكفيل⁽⁸⁾ Alexis de Tocqueville (1805/1859) إذ يقول هذا الأخير: "لم يكن المجتمع الإسلامي في أفر يقيا غير متحضر، كان فقط ذا حضارة متأخرة وغير مكتملة، [بحيث أنه كان لهذا المجتمع] عدد كبير من المؤسسات الخيرية، [التي تهدف إلى] تقديم العون للمحتاجين [وتمويل كتاتيب] التربية العمومية، فاستولينا على ممتلكاتها وحولناها عن مقاصدها السابقة، وأنقصنا عدد هذه المؤسسات الخيرية، وأوقفنا المدارس، وفرقنا حلقات الدروس، فانطفأت الأنوار من حولنا، وأوقفنا عددا كبيرا من رجال الدين والقضاء، وعلى العموم جعلنا من المجتمع الإسلامي أكثر فوضى، وأكثر جهلا، وأكثر بربرية مما كان عليه قبل دخولنا"⁽⁹⁾. وهو ما تثبته هذه المقارنة البيانية الإحصائية (أ) و(ب):



(أ): الفارق الكبير بين عدد الدارسين الجزائريين وعدد الدارسين الأوروبيين خلال الفترة ما بين 1883 و1941⁽¹⁰⁾

(ب):

- يمثل الفرنسيون في المدارس الابتدائية العادية 08 أضعاف حظ الجزائريين فيها.

- وفي المدارس المهنية 15 ضعفا من حظ الجزائريين.

- وفي المدارس الثانوية يمثلون 36 مرة من حظ الجزائريين.

- أما في الجامعة، فيمثل الأوروبيون 192 مرة من حظ الجزائريين فيها.⁽¹¹⁾

ولهذا وجه ابن باديس أيضا هذا النداء إلى السلطات الفرنسية يناشدها فيه باسم مبادئها المعلنة

أن تعمم التعليم للأطفال الجزائريين، جاء فيه: "ندعو فرنسا إلى ما تقتضيه مبادئها الثلاثة التاريخية

(الحرية والمساواة والأخوة) من رفع مستوانا العلمي والأدبي بتعميم التعليم"⁽¹²⁾

ولكن تدخل أنصار الإيديولوجيا العامة وقفوا في وجه هذه النظرة، لأنها تتعارض مع طموح

ضم الجزائر إلى فرنسا، فبادروا بإنشاء "لجنة مهمتها الإشراف على إيديولوجية التعليم الموجه

للجزائريين، ودراسة القضايا الخاصة به، كالتكوين وإعداد المعلمين وتأليف الكتاب المدرسي، ووضع البرامج.. إلخ" (13).

1- لأن غلق باب المدرسة الفرنسية في وجه الأطفال الجزائريين، يساعد على نشاط التعليم العربي الإسلامي الحر، وقد أبدى بعض الفرنسيين المختصين قلقهم تجاه "خطورة ترك الجزائريين دون تعليم فرنسي، لأن ذلك يجعلهم عرضة لتأثير رجال الدين والمدرسين الجزائريين الذين ينشرون بينهم أفكارا معادية للاحتلال" (14).

ومن هنا بدأت المعارضة الشديدة للتعليم الجزائري الحر، وأصدروا في ذلك قوانين صارمة، يصف بعضها ابن باديس "بقانون العقاب الرهيب" (15) (16)، ضد كل من تخول له نفسه من المعلمين تدريس اللغة العربية والقرآن الكريم وعلوم الإسلام عامة، دون ترخيص منها، لأنهم "علموا أنه لا بقاء للإسلام إلا بتعليم عقائده وأخلاقه وآدابه وأحكامه، وأن لا تعليم له إلا بتعليم لغته، فناصروا تعليمها العداء وتعرضوا لمن يتعاطى تعليمها بالمكره والبلاء، فمضت سنوات في غلق المكاتب القرآنية ومكاتب التعليم الديني العربي" (17).

2- والغاية من تدريس الجزائريين في المدارس الفرنسية، كما يرى الدكتور تركي رابح، "تتمثل في تكوين الجزائريين (الأهالي) تكويناً يتلاءم مع سياسة الاستعمار، بحيث يكونون دون شخصية قومية مميزة، وحتى يمكن أن يكونوا في خدمة أهداف الاستعمار التي [ترمي إلى] تدعيم كيانه في الجزائر، وتحقيق سياسة الفرنسة والإدماج في فرنسا". (18)

3- ولأنه، كما يرى س. فاسي (S.Faci) أحسن واسطة بين السكان الأهالي وفرنسا، وأكثر ضمانا للسلطات العمومية نتيجة معرفتهم لمختلف الأماكن، ونتيجة ثقافتهم ومكانتهم المحترمة، وحيادهم، وعدم مبالاهم بما يجري، وارتباطهم بفرنسا (19)، وفي نظر البعض الآخر، أن تعليم الأهالي تعليماً أولياً بسيطاً ضماناً لخدمة المعمرين الذين يرغبون في تكوين يد عاملة زراعية (20) وحرفية، ولید لأجل الوظائف العمومية العالية، أو لأجل مواصلة دراستهم الثانوية والجامعية.

مدرسة التكوين ببوزريعة نموذجاً:

وبعد هذا العرض السريع حول ما تهدف إليه إيديولوجيا الاحتلال من تعليم الدارسين الأهالي وتكوينهم في سياستها العامة، نحاول الآن بحث نموذج مصغر كشاهد على تطبيق هذه الإيديولوجيا بالفعل في تعليم وتكوين المعلمين الجزائريين.

وحتى لا نخرج عن موضوع هذا الملتقى اخترنا نموذج مدرسة تكوين المعلمين الأهالي، ببوزريعة عهد الاحتلال. (école normale des enseignements indigènes de Bouzaréah) التي بدأ التفكير في إنشائها ضمن أول توصية تطرقت إلى ضرورة ذلك في تقرير لجنة الجنرال "بيدو" سنة 1849 التي درست موضوع تعليم الجزائريين بعمق، وأكدت على أن يكون فيها للغة العربية الدارجة مكانة بارزة وإجبارية، لكن المدرسة لم تنشأ إلا بعد 16 سنة من تاريخ هذه المداولة⁽²¹⁾، بموجب مرسوم إمبراطوري صدر في شهر مارس من عام 1865، وكان مقرها الأول بمبنى قرب (مستشفى مصطفى باشا حاليا) ثم حول مقرها إلى بوزريعة⁽²²⁾ سنة 1886، واشترط المرسوم أن لا يزيد عدد التلاميذ الجزائريين على الخمس بالنسبة للأوربيين، ثم تلاها إنشاء مدارس أخرى إحداها بقسنطينة سنة 1878، والأخرى بوهران سنة 1933. والسؤال الذي يطرح هنا، هل الغاية من التعليم الفرنسي للجزائريين وتكوين المعلمين الأهالي لذلك غاية تربوية نبيلة، ونية حسنة لبناء شخصية الفرد الجزائري وتقويمها تقويما حسنا، يجعلها قادرة على التكيف مع المستجدات الجديدة وحل المشاكل التي تعترض سبيل الفرد والمجتمع على حد سواء في الحياة، والطموح إلى التجديد والابتكار والحرية في الرأي واستقلال الذات، وتفضيل المصلحة العامة عن المصلحة الخاصة عند تعارضهما، والحفاظ على مقومات الأمة؟ أم هي عكس هذا تماما؟

لأنه في إمكان المدرسة أن تكون أداة بناء لمثل هذه الخصائص المذكورة، بالنسبة للفرد والجماعة، وفي إمكانها "أن تكون عكس ذلك [تماما] عامل هدم وتخريب لمقومات هذه الشخصية"⁽²³⁾»⁽²⁴⁾. وللإجابة عن هذا السؤال أرى أنه من الضروري التركيز على عنصرين أساسيين في هذه المدرسة، هما؛ عنصر التلميذ الجزائري المترشح للتكوين والتعليم فيما بعد، وعنصر التكوين وكيفية.

أولا: عنصر المعلم المتربص:

لماذا تكوين معلم جزائري لتعليم أطفال جزائريين وليس معلما أوريا؟ يرى المؤرخ الجزائري المعاصر أبو القاسم سعد الله، أنه مادام الهدف "هو نشر اللغة والأفكار الفرنسية بين الأطفال الجزائريين بسرعة، [فإن ذلك] لن يتحقق إلا إذا وضعوا بين أيدي معلمين يعرفون اللغة العربية الدارجة والعادات... والتأقلم مع التقاليد الثقافية للأهالي"⁽²⁵⁾ وليكونوا الوسيلة الأنجح للتوغل الإيديولوجي الفرنسي في كيان الأمة الجزائرية، ويفضل الاحتلال الفرنسي انتقاء المرشحين، من العائلات الجزائرية الموالية للفرنسيين من إداريين وعسكريين، وأرياب المال الكبار، ومن أولئك الذين تخرجوا من مدارس يشرف عليها الآباء البيض (les pères blancs) رجال

الكنيسة المنتشرة بكثرة في بعض المناطق الجزائرية. لهذا كان الجزائريون، كما يرى أبو القاسم سعد الله، يفضلون المعلم الفرنسي، لأنه لا يتكلم معهم إلا الفرنسية، أما المعلم الجزائري الأهلي، كما تسميه فرنسا، والذي لا يتكلم العربية وهو عربي، ولا يعرف الإسلام وهو مسلم، فيسقط في أعين الأهالي.

كانت المدرسة كما نلاحظ، قائمة على التمييز بين المعلمين الفرنسيين والمعلمين الجزائريين، بحيث كان تكوين المعلمين الأهالي منفصلا عن تكوين المعلمين الأوربيين، وكان كل شيء خاصا بالنسبة للجزائريين، ابتداء من المسابقة وانتقاء المتكويين حسب المعايير المذكورة، إلى الدروس ومدة الدراسة، إلى التخرج والتعيين في منصب العمل، وتسمية الشهادة إلى غير ذلك من التمييز، فكل شيء كان خاصا بالنسبة للجزائريين بما في ذلك النظام الداخلي للإقامة المدرسية.

- حدد المرسوم عدد التلاميذ بثلاثين تلميذا، منهم عشرون أوربيا وعشرة جزائريين.
- يرشح للمسابقة قصد الدخول إلى المدرسة، تلاميذ المدارس الفرنسية بالجزائر، الحاصلين على الشهادة الابتدائية (CEP) من المدارس الفرنسية الثلاث، أن يكون سنهم بين 16 و 22 سنة، بالإضافة إلى إمضاء التزام يتعهد المرشح بمقتضاه ممارسة مهنة التعليم عشر سنوات بعد التخرج، ويطلب منه شهادة حسن السيرة والسلوك، إما من مدير المدرسة التي واصل بها تعليمه، وإما من قائد الناحية العسكرية التي يسكنها. يحصل المتكوي على شهادة البروفي (Brevet) بعد عامين، أما السنة الثالثة مخصصة للتدريب التربوي المهني والأعمال التطبيقية، وإذا لم يعين نتيجة عدم وجود منصب، يكمل السنة الرابعة في نفس التكوين بإحدى المدارس الابتدائية الخاصة بالأهالي، ويسمى مساعد أهلي أو نائب أهلي (Ajoint-indigène)، أما الذين يرسبون فيعينون كممرزين (Moniteurs) مع اختلاف الرواتب.

ويدرس صنف من المتكويين ثلاث سنوات، يتحصلون إثرها على شهادة (Brevet supérieur)، وإذا لم يعينوا للأسباب المذكورة، عليهم إكمال السنة الرابعة في التربص أيضا، بإحدى المدارس الخاصة بتعليم الجزائريين في التدريب والتحضير التربوي. وهذا الإجراء خاص بالجزائريين دون سواهم.

نلاحظ كيف كانوا يسمون دائما "أندجان" (Ajoint-indigène)، titre indigène, (école indigène) رغم إلحاق المدرسين الجزائريين في طلبهم، بإزالة هذه التسمية العنصرية. لكن هيهات فهي بمثابة الصفة الفطرية في الجزائريين لا تزول إلى الأبد ما دامت فرنسا في الجزائر. يقول العلامة البشير الإبراهيمي رحمه الله: "وكلمة (اندجان) هذه، في قاموس الاستعمار، وفي

ألسنة حماته الطغاة، هي نيز وتحقير لهذا العنصر الشريف الذي أوقعته الأقدار وتصرفات الفجار في قبضة الاستعمار الفرنسي⁽²⁶⁾.

وقد دفعني الفضول إلى البحث عن هذه الكلمة في قاموسي «Larousse» et «le Robert» فوجدت أنها تعني الشيء الأصلي، وأنها أطلقت على الهنود الحمر في أمريكا، وعلى غيرها من سكان المستعمرات الأوروبية فيما وراء البحار⁽²⁷⁾، كما أنه يوصف بها الحيوان والنبات، فيقال؛ plante indigène, animal indigène⁽²⁸⁾، ولكن لم أجد في القاموسين ما يشير بها إلى الأوروبيين، ولعلّ المقصود من استعمالها وتسمية سكان المستعمرات بها، وصفهم بالتخلف وعدم التمدن، والبقاء على الحال الطبيعي الشبيه بالحيوان والنبات، والذي لاحظ لأصحابه من التقدم والتحضّر ولا قابلية لهم في ذلك، وكأنهم فطروا على الحال الذي هم عليه.

- المعلم الأهلي أيضا، لا يختار مكان تنصيبه بخلاف المعلمين الأوروبيين.

- ولا يمكن أن يرسم في سلك التعليم إلا إذا تجنس بالجنسية الفرنسية وفقا للمادة 39 من

مرسوم 1892.

- يخضع المدرس الجزائري المكلف بالقسم الأهلي الملحق بقسم أوري للمدير الفرنسي.

- يمنع توظيف المعلم الأهلي في المدارس إذا لم يكن تحت رقابة مدرس فرنسي.

- أما ما يتعلق بالأجرة، فحدث ولا حرج، فالتمييز واضح رغم التساوي في الشهادات،

ورغم المدة الطويلة التي يقضيها المعلم الأهلي في التكوين. والمقارنة بينها في هذا الجدول أدل على ذلك⁽²⁹⁾.

المدرسون الأوروبيون	المدرسون الجزائريون
المستوى الأول: 2500 فرنكا	المستوى الأول: 1500 فرنكا
المستوى الثاني: 2200 //	المستوى الثاني: 1400 //
المستوى الثالث: 1900 //	المستوى الثالث: 1300 //
المستوى الرابع: 1700 //	المستوى الرابع: 1200 //
المستوى الخامس: 1500 //	المستوى الخامس: 800 //

مواد التكوين الدراسية:

- أقر المرسوم تعليم اللغة العربية الدارجة، رغم أن الأهالي يطالبون بتعليم اللغة العربية الفصحى ولكن إيديولوجية القضاء على اللغة العربية لتعيش الفرنسية هي التي كانت تملي اختيار اللغة الدارجة التي رفضها الجزائريون.

- استعمل الفرنسيون ما يسمى بالطريقة الجديدة في تعلم اللغة الفرنسية للأهالي (تلقينها إلى الطفل دون واسطة لغة الأم).

- احتلت اللغة الفرنسية المكانة الأولى في تدريس الأهالي إذ يدرس بها جميع المواد، بحيث يجب أن توظف جميع الدروس الأخرى لتعليم اللغة الفرنسية ونشرها.

ورغم هذا، جاء في مقدمة البرنامج، أنه من السذاجة القول بأن مهمة التعليم الابتدائي الأهلي هو جعل الأهالي يتذوقون الأدب الفرنسي والثراء العلمي للغة الفرنسية أو الخصوصيات الصناعية والتجارية لها، أو حتى المعارف النحوية، إننا نذكر أن الهدف من تعليمها لهم هو جعلهم قادرين على التعبير بها فقط عن بعض المعارف العامة، وبعض الأفكار ذات المعنى العملي والتربوي، وتكوين الطفل الجزائري بهذه الطريقة ليس للتوظيف العام، ولكن للعمل في الحقول أو الورشات. وهذا التعليم يجب أن يعطى له بالفرنسية ليشعر بالتقدم وما قامت به فرنسا من أجل الجزائريين ومن ثمة يقترب من الفرنسيين ويرتبط بهم⁽³⁰⁾.

- وبالنسبة للكتب الخاصة بالتعلم الأهلي تفتح في شأنها مسابقة ويختار منها الأفضل وهو ما يتماشى مع سياسة الفرنسة ونظرية الجمهورية الثالثة في المستعمرات⁽³¹⁾

- أما درس الأخلاق فهو يخلط بين التربية الأخلاقية والتربية السياسية، ويدخل الولاء لفرنسا ضمن هذه التربية، وتعليم التلاميذ وذوهم الواجبات نحو فرنسا مقابل حمايتهم وتوفير العدل لهم، وحماية المصالح العامة وتوفير السلم لهم، بتعليمهم وتمدينهم كما نص البرنامج على تعليم الطفل طاعة واحترام الحكام ومن يُسير البلاد باسم فرنسا، واحترام العَلم المثلث والجيش الفرنسي وكذلك احترام القانون والسلطات على أنه شعار كل أمة متحضرة، والإلحاح على دفع الضريبة، والابتعاد عن الغش⁽³²⁾.

الخلاصة:

لقد عاشت المدرسة في الجزائر طوال فترة الاحتلال عيشة انعزال كامل عن البيئة الجزائرية، لأنها كانت منذ نشأتها مدرسة أجنبية عنها، لم توجد في الأصل لخدمتها والانشغال بمشاكلها،

وبقيت الدراسة فيها تتعلق باهتمامات وقضايا بعيدة كل البعد عن اهتمامات وقضايا البيئة الجزائرية والثقافة القومية، والشخصية الجزائرية العربية الإسلامية⁽³³⁾.

وعليه، لا يمكن القول أن المدرسة العليا لتكوين المعلمين الأهالي فشلت، بل نجحت في بليلة شخصية المعلم الجزائري الذي وجد نفسه في حالة عدم التوازن، إذ أنه وجد نفسه لا يستطيع أن يوفق بين مكتسباته في الماضي، وما تفرضه عليه السيطرة الاستعمارية في الحاضر⁽³⁴⁾.

ورغم هذا فإننا في الحاضر لا ينبغي توظيف التاريخ وما حدث فيه من إرهابات توظيفاً سلبياً لا يخدم العلاقات الثقافية والعلمية بين الجزائر وفرنسا بقدر ما ينبغي أخذ العبرة منه وتوظيفه توظيفاً إيجابياً في تمثين هذه العلاقات التي يقتضي أن تكون قائمة على المساواة بين الاثنين ودون هيمنة أحدهما على الآخر كما كان جارياً عهد الاستعمار وربما إلى اليوم.

الهوامش:

¹ - الشخص هو الكائن البشري الذي يظهر للآخرين ويظهر لذاته إثر ذلك، بعد ما كان مجرد معطى خاماً قبل ظهوره، وهو عبارة عن "صيرورة ترمي إلى الكمال في تصاعدها نحو الإنسان"، فهل تتيح له هذه المؤسسة شروط تشخصه واكتساب الشخصية أم أنها بالعكس، تقف عائقاً في وجهه. انظر محمد عزيز لحبابي، من الكائن إلى الشخص، دار المعارف ط2، مصر (دون تاريخ) ص.14

² - هي "تلك الأفكار والمعتقدات الدينية أو الفلسفية المغرضة (أو المخرفة) التي توظف في تفسير الأشياء والوقائع المادية أنظر: André Lalande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, v.1, 4^{ème} éd. Puf, 1997, p459.

³ - هي مالا وجود في أي مكان. (Qui n'est en aucun lieu)

⁴ - اعتبرت الجزائر بموجب قانون 1848 قطعة أرض فرنسية تخضع للقوانين الفرنسية، وأنها امتداد لفرنسا الجنوبية، انظر عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1، الجزائر، 1999، ص.63

⁵ - حلوش، المرجع نفسه، ص.47

⁶ - نفسه، ص.49

⁷ - وهي مراسيم تنص على إجبارية التعليم ولكنها لم تطبق كمرسوم 1883، ومرسوم 1887-1892

⁸ - حقوقي وسياسي فرنسي أول زيارة له في إلى الجزائر كانت سنة 1941، على رأس لجنة تحقيق في مدى الاستيلاء على الجزائر والتخطيط لذلك، اشتهر بكتاب الديمقراطية في أمريكا. وله نصوص حول الجزائر انتقده في مقدمته البنيوي الفرنسي الشهير تودوروف.

⁹ - طوكفيل، نصوص عن الجزائر، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص.126. (مع تصرف طفيف في نص لسوء ترجمته الحرفية).

¹⁰ - Fanny colonna, instituteurs Algériens, 1883/1939, office des publications universitaires.

¹¹ - تركي رايح، أصول التربية، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط2، الجزائر 1990، ص.386

- ¹² - عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق عمار طالبي، ج3، دار المغرب الإسلامي، ط2. 1403هـ - 1983م، ص. 243.
- ¹³ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار المغرب العربي الإسلامي، ط2. 1403هـ - 1983م، ص. 243.
- ¹⁴ - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، ص. 41. (مرجع سابق).
- ¹⁵ - ينص هذا القانون على معاقبة من يخترقه من المعلمين الجزائريين بغرامة مالية أو السجن والتعذيب أو القتل.
- ¹⁶ - عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق عمار طالبي، ج3 (المرجع السابق)، ص. 243.
- ¹⁷ - عبد الحميد بن باديس، المرجع نفسه، ص. 243.
- ¹⁸ - تركي رايح، أصول التربية، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط2، الجزائر 1990، ص. 201.
- ¹⁹ - S.Faci, l'Algérie sous l'égide de la France édité à compte d'auteur Alger 1936, p277.
- ²⁰ - Fanny Colonna Instituteurs Algériens 1883-1939, office des publications universitaires.
- ²¹ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ص. 144.
- ²² - نفسه، ص. 417، 416.
- ²³ - سواء أكانت شخصية الفرد أو شخصية الجماعة التي ينتمي إليها هذا الفرد.
- ²⁴ - تركي رايح، أصول التربية، مرجع سابق، ص. 359.
- ²⁵ - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، مرجع سابق، ص. 415.
- ²⁶ - محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 1428هـ/ 2007.
- ²⁷ - Larousse, établissement de Larousse 1995, p346.
- ²⁸ - le Robert pour tous, R, Paris 1994, p597.
- ²⁹ - عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، مرجع سابق، ص. 185.
- ³⁰ - أنظر تاريخ الجزائر الثقافي، للدكتور سعد، مرجع سابق، ص. 427.
- ³¹ - اعتمدت في هذه المعلومات المخلصة والتي لم أشر إلى التوثيق فيها، في الغالب على تاريخ الجزائر الثقافي، للدكتور أبي القاسم سعد الله، المرجع السابق نفسه، وكذلك على كتاب أصول التربية، للدكتور تركي رايح، مرجع سابق.
- ³² - أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء الثالث، مرجع سابق، ص. 428.
- ³³ - تركي رايح، أصول التربية، مرجع سابق، ص. 121.
- ³⁴ - مصطفى زايد، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر 1980/1962 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 107.

المراجع والمصادر المعتمدة في البحث:

- 1- أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، ط1، الجزائر. 1998.
- 2- تركي رايح، أصول التربية، ديوان المطبوعات الجزائرية، ط2، الجزائر 1990.
- 3- دو طوكفيل، نصوص عن الجزائر، ترجمة إبراهيم صحراوي، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، ص. 126.
- 4- عبد الحميد ابن باديس، آثار ابن باديس، تحقيق عمار طالبي، ج3، دار المغرب الإسلامي، ط2. لبنان 1403 هـ/ 1983م، ص. 243.

- 5- عبد القادر حلوش، سياسة فرنسا التعليمية في الجزائر، شركة دار الأمة للطباعة والنشر والتوزيع، ط1 الجزائر، 1999.
- 6- مصطفى زايد، التنمية الاجتماعية ونظام التعليم الرسمي في الجزائر 1980/1962 ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر (دون تاريخ).
- 7- محمد البشير الإبراهيمي، عيون البصائر، المكتبة الإسلامية للنشر والتوزيع، ط1 القاهرة 1428هـ./2007.
- 8 - محمد عزيز لحبابي، من الكائن إلى الشخص، دار المعارف، ط.2 مصر (دون تاريخ).
- 9- André Lalande, vocabulaire technique et critique de la philosophie, v.1, 4ed, Puf, 1997.
- 10- Fanny Colonna Instituteurs Algériens 1883-1939, office des publications universitaires Alger 1975.
- 11- Larousse, établissement de Larousse 1995.
- 12- S.Faci, l'Algérie sous l'égide de la 1213- le robert pour tous, R, Paris 1994.
- France édité à compte d'auteur Alger 1936.